مطبوعات

المجمع العلمي العربي

بدمشق

(٩)

ديوان



جمع وترتيب

المستشرق الايطالي ف . جبريالي

مصدّر بمقدمة بقلم

خليل مردم بك

عضو المجمع العلمي العربي

١٣٥٥ م = ١٩٣٧ ه

مطبعة ابن زيدون بدمشق

مطبوعات
المجمع العلمي العربي
بدمشق
(٩)

ديوان



جمع وترتيب

المستشرق الايطالي ف . جبر بالي

مصدّر بمقدمة بقلم

خليل مردم بك
عضو المجمع العلمي العربي

١٣٥٥ م = ١٩٣٧ هـ

مطبعة ابن زيدون بدمشق

مقدمة الديوان

بقلم الاستاذ خليل مردم بك

عضو المجمع العلمي العربي

حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاصي وبين الحجاج يالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي عليه السلام ، كان يفتخر بها إذ يقول :

نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خاله نبيّ الهدى يقهرْ به من يفاخرُ

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر ابيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني امية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تأديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ؛ ولكن عبد الصمد كان معروفا بالشراب يتهم بالمجون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما

ولما كانت سنة اثنتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماءه من الظرفاء والخلعاء ، فتغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه تهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاظ وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش ، فكتب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام . وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة ولياً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتنكر له هشام ، وصار يعيبه وينتقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الازرق على ماء يقال له الاغدف بالاردن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى ، فشربوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل أبياتاً ، فقال :

ألم تر للنجم إذ شيعا يبادر في برجه المرجعا

تحير عن قصد مجراته أتى الغور والتمس المطلعا

فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح إذ لاح لي مطمعا :

لعل الوليد دنا ملكه فأمسى اليه قد استجمعا

وكنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجدب أن يمرعا

عقدنا له محكمات الامور طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا ابا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير

فأشهدُ أنهم كذبوا عليـه شهـادة عـالم بهم خبـير

وكتب الوليد الى هشام يعلمه باخراج عبدالصمد، ويعتذر اليه عما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد ، فضرب هشام ابن سهيل وسيره ، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار اليه ، فضربه ضربا مبرحا والبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد وقال: « من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشئوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره وليّ عهده ثم يصنع بي ما ترون ، لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به ، كتب اليّ ان اخرج عبد الصمد فاخرجته، وكتبت اليه ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليّ فضربه وسيره، وقد علم رأيي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ وتحرمه بي وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارّني بذلك ، اللهم اجرني منه » وقال في ذلك أبياتا اولها :

انا النذير لمسدي نعمة أبداً الى المقاريف ما لم يخبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بابيات أولها :

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاءه فيه البشير بالخلافة قال لاحد اصحابه : ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت عليّ هموم وحدثت نفسي فيها بأمور هذا الرجل يعني هشاما ، فاركب بنا نتنفس فركبا فسار ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان ، فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احدهما يكرر عليه السلام بالخلافة ، فقال ويحك أمات هشام ؟ قال نعم ، قال : فممن كتابك ؟ قال : من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل .

واظهر الوليد الشماتة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه . قال حكم الوادي المغني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهنئ بالخلافة واتاه القضيب والخاتم، فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة ، فقال غنوني :

طاب يومي ولذ شرب السلافه ... اذ اتانا نعيّ من بالرصافه
واتانا البريد ينعي هشاماً ... واتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحنا بخمر عانة صرفا ... ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني الى الليل ·

وللوليد اشعار اخرى في الشماتة بهشام منها قوله :

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكياله الأوفر قد طبّعا
كلناه بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناه به اصبعا
وما اتينا ذاك عن بدعة ... احله الفرقان لي اجمعا

وقوله :

هلك الأحول المشو ... مُ فقد ارسل المطر
ثمت استخلف الوليد ... م فقد اورق الشجر
فاشكروا الله انه ... زائد كل من شكر

وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجرى على زَمنى اهل الشام وعُميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيبَ والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ، ولم يقل في شيءٍ يُسأله لا ، وفي افضاء الخلافة اليه يقول :

ألا ايها الركب المخبّون أبلغوا ... سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة ... بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم ان لم تعقني عوائق ... بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة ... واعطية مني عليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم ... به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليّي عهده وجعل الحكم مقدما ، وازداد تمادياً باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة المجان

وتقريب المغنيين ، وقسا على بني عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، وامر بقتل خالدبن عبدالله القسري زعيم اليمانية بالشام ، وجعل يكره المواضع التي فيها الناس فينتقل للصيد مع ندمائه فثقل ذلك على الناس وكرهته اليمانية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلا عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاعة واليمانية من اهل دمشق خاصة ، واتت اليمانية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذاك متبدياً فقبل منهم ، على كره من عقلاء بني مروان كمروان بن محمد والعباس بن الوليد بن عبدالملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكرا فدخلها ليلا ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فاظهر امره والوليد يومئذ بالأغدف من عمان ، ونادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الى يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ماينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبي : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمنعونك ، فقال: ما ارى ان نأتي تدمر واهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ ، ولكن دلني على منزل حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال: اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين وقال:

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد   نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ

اذا ما همُ همُّوا بإحدى هناتهم   حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وقال له بيهس بن زميل: أما إذ أبيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال: إني أخاف الطاعون ، قال: الذي يراد بك أشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقي حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعليّ توثب الرجال ، وأنا أثب على الاسد وأتخصر الافاعي؟ واشتبك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبت وقاتل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدوّ الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

رجل شريف له شرف وحياء أكلمه ؟ فقال له بعضهم : كلني ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة السكسكي ، قال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ماحرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله ، قال حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع الى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعلوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل اليه وسيف الوليد الى جنبه ، فقال له : نح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضربه أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه ، واحتز أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق . وكان مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل الى دمشق سراً ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفراديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوائح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قميص قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

نقلب في أثوابه وكأنما ... نقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة .

صفته واخلاقه

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، كان أبيض مشرباً حمرة ربعة جميلاً ، من أصبح الناس وجهاً وأنبلهم قد وخطه الشيب قال :

انما هـاج لقلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة، وهو كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثبا دون ان يمسها بيده، وقد كان يتأنق بملابسه كثيراً من حيث انواعهـا والوانها واصنافها يحب الخز والوشي والقصب والمزركش، ويميل الى الالوان المشرقة كالاحمر والاصفر ويضع على رأسه قلنسية وشي مذهبة ويعتم بالخز ويلبس حلل الوشي والغلائل الموردة والمطارف والقباء والدراعة والسراويل والازر والاردية والربطات ويتقلد سيفا ويغير ثيابه في اليوم الواحد مرارا، وكان يتطيب ويتزين بالجوهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل بيده عقداً من الجوهر ويلبس عقودا منها ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير ثيابه ٠

قال حماد الراوية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ٠ وقال عطرد المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتمع بالذهب التماعا ٠ وقال أبو كامل مولى الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة موردة ٠ وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد وعليه دراعة وشي وبيـده عقد جوهر ٠ وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجوهر بنو امية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما تغير الثياب ٠ وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به ٠ وقالـــ عمر الوادي المغني : رأيت الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه ٠ وذكر خمار في الحيرة انه رأى الوليد متلثما بعمامة خز ٠ ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على برذون كميت عليه قباء خز وعمامة خز محتزمة بريطة دقيقة قد طواها وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف ٠ وروى ابن عساكر عمن دخل على الوليد يوم مقتله انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قميص قصب وسراويل وشي : وكان الوليد معجبا بنفسه مدلاً بجماله مزهواً بشبابه يتغزل بنفسه كما يتغزل بالفتيات الحسان ويصف حبهن له وتهافتهن عليه، قال :

قامت اليّ بتقبيـل تعـانقني ريّا العظام كأن المسك في فيها

أدخل فديتك لا يشعر بنا احد　　نفسي لتفعلك من داء تفديها

بتنا كذلك لا نوم على سرر　　من شدة الوجد تدنيني وادنيها

حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها　　حان الفراق فكلا الحزن يشجيها

ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد　　والله عني بحسن الفعل يجزيها

وقال على لسان سلمى بنت سعيد اخت زوجه :

إقرا مني على الوليد سلاما　　عدد النجم قل ذا للوليد

حبذا ما حسدت اختي عليه　　ربنا بيننا وبين سعيد

وقال :

في فتية من بني امية اهل المجد والمأثرات والحسب

ما في الورى مثلهم ولا بهم　　مثلي ولا منتم لمثل ابي

وكان منذ حداثته ميالا للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب ، كما كان يحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعاء والمجان وسماع الغناء ومجاراة اهواء النفس كمعاقرة الخمر ومعاشرة الحسان ومغازلتهن والتشبيب بهن ، وهو الذي يقول :

اشهد الله والملائكة الابـ　　ـرار والعابدين اهل الصلاح

انني اشتهي السماع وشرب الـ　　ـكأس والعض للخدود الملاح

والنديم الكريم والخادم الفا　　ره يسعى علي بالأقداح

واشتهار غرامه وتهتكه وهو ولي للعهد طريفة . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهيأ النساء يقال لها سفرى ، فجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيداً للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء الى بستان حسن ، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ودخلت سفرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان : ويلك اتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت لا ، فقال لها : هو الوليد بن يزيد وانما تقشف حتى ينظر اليك ، فجنت إليه بعد ذلك ، وكانت عليه الحرص منه عليها ، وقال الوليد في ذلك :

أضحى فؤادك يا وليدُ عميدا — صبّاً كليماً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة — برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق — حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى — منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه — وأكونَ في لهب الجحيم وقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حبذا سفري وان قيل انني — كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليّ ان نظل نهارنا — الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

واحب الوليد سلمى بنت سعيد فكانت تحتجب منه ؛ قال صاحب الاغاني : خرج الوليد لعله يراها فلقيه زيّات معه حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطلع بعض الجواري فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن : إن بالباب زياتا اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته وتأملته فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رآني فقلن له : لا حاجة بنا الى زيتك فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخا — حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ — من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعا — خاسرا غير ربيح

وقال ايضاً :

فما مسك يُعلّ بزنجبيل — ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى — ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي — وثاق الباب دوني واطّراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الحيرة لانه بلغه خبر خمّار لبق نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدثه خمار كان بالحيرة قال : فتحت يوماً

حانوتي فاذا فوارس ثلاثة متلثمون بعمائم خز قد اقبلوا من طريق السماوة ، وكنت موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي أحدهم اسقني رطلا ، فقمت فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان فنظرت الى اصفاها فبزلته واخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم اخذت منديلا جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطلا آخر فسقيته في غير ذلك القدح ، واعطيته غير ذلك المنديل فشرب ٠ وقال : بارك الله عليك فما اطيب شرابك وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أكثر ، فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي الى شرب آخر فهاته ، فناولته اياه على تلك السبيل ، وولى راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال اعذرنا ورمى الي أحد الرجلين اللذين كانا معه بصرة فيها دنانير ، وإذا هو الوليد بن يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف ٠ وقد أنكر الاتقياء على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل على هشام بن عبدالملك وقدح بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين مايحل لك الا خلعه فانفرجت الحال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ، وجعل في تلك البرية روضة انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من الشام والحجاز والعراق فضلا عن الاضياف والعفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان الوليد وهو ولي عهد يطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويعلف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن توفي هشام وبويع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كلاني توجاني وبشعري غنياني
انما الكأس ربيع يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين استدعى اليه من جميع الاقطار القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والخلفاء والمجان ، ذكر ابن جرير الطبري أن الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيار عامل خراسان يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير واباريق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح وحملهم على الخيل وأعد خمس مابة وصيفة وامر بصنعة اباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيابل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرّح الهدايا حتى بلغ اوائلها بيهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشرْ يا أمين اللـــه ابشر بتباشير
بإبل يُحمل المالُ عليها كالانابير
بغال تحمل الخمر حقائبها طنابير
ودلّ البربريات بصوت البَمّ والزير
وقرع الدُّف احيانا ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغاني : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال : ارقص وغنّني شعراً يعجبني ، فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه فأعجبه فأعطاه الف درهم .

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن سريج والغريض ومالك بن ابي السمح وعمر الوادي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهذلي ويونس الكاتب واسماعيل بن الهربذ وعطرد والابجر ودحمان وغيرهم .

ومن الشعراء طريح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي واسماعيل بن يَسار ويزيد بن ضبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي حفصة والقاسم بن الطويل العبادي وغيرهم .

واستدعى من الندماء المجان شراعة بن الزندبوذ ومطيع بن اياس الكناني وحماد عجرد والمطيعي المغني . قال صاحب الاغاني : بعث الوليد بن يزيد الى شراعة بن الزندبوذ ، فلما قدم عليه قال : ياشراعة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا ، فقال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب . قال فما قولك في الماء ؟ قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيته قط الا ذكرت أمي فاستحييت ، قال : فالخمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة ، قال : لله درك ! فأي شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه الماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً .

وقال لمطيع بن اياس : اي الاشياء اطيب عندك ؟ قال صهباء صافية تمزجها غانية بماء غادية ، قال : صدقت . واستدعى أيضاً حماد الراوية ليروي له شعر العرب .
هـذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت تعمر مجالسه وفيهم يقول :

سقيت أبا كامل   من الأصفر البابلي
وسقيتهـا معبداً   وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم   ويغمرهم نائـلي
فمـا لامني فيهم   سوى حاسد جاهل

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفث السحر في أرجاء تلك المجالس . قال حماد الراوية : دعاني الوليد يوماً من الايام في السحر ، والقمر طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطبح ، فقال : أنشدني النسيب ، فانشدته أشعاراً كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى انشدته قول عدي بن زيد :

أصبح القوم قهوة   في الأباريق تحتذى
من كميت مدامة   حبذا تلك حبذا !

فطرب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف ستراً خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في ايديهم الاباريق والمناديل ، فقال اسقوهم فلم يبق احد الا سقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فما زال يشرب ويسقي الى طلوع الفجر ، ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فالقونا في دار الضيافة فما افقنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغاني أيضاً : اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحاجب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم وجهت اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحببت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ما حضر ام ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غنني :

ماز ال يعدو عليهم ريب دهرهم   حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني يا معبد :

يا ربع مالك لا تجيب متيما   قد عاج نحوك زائراً ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة   حتى ترى عن زهره متبسما
لو كنت تدري من دعاك اجبته   وبكيت من حرق عليه اذاً دما

فغناه ، وأقبل الجوازي يرفعن الستر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني :

عجبت لما رأتني   اندب الربع المحيلا
واقفا في الدار ابكي   لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لاناس   لا يملون الذميلا
كلما قلت : اطمأنت   دارهم ، قالوا : الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً ثم أقبل عليه الوليد فقال : يامعبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم . وقد يغلب عليه المجون فيسري باصحابه الى حيث يطيب لهم التصابي والغناء والخمر قال :

حبذا ليلتي بدير يونا حيث نسقى شرابنا ونغنى
كيف مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار يُحنا

وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهو ويصطاد ويعقد مجالس الانس والشراب والغناء قال :

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي شيب على رغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شم الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها أو يطلبوا لا يدرَ كوابترات

وقال :

أصبح اليومَ وليد هائماً بالفتيات
عنده راح وابر يق وكاس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماةً لرماة

قال حماد الراوية يصف مجلسا من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المنون وريبها تتوجع

فانشدته حتى اتيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل ، ثم قال يا مالك غنني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مطّلحا

ففعل ثم قال له غنني :

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل ثم قال له غني :

اتنسى إذ تودعنا سليمى   بفرع بشامة سقي البشام

ففعل ، ثم قال له يا سبرة أو يا أبا سبرة اسقني ... فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين للرجل الذي طلبت بالباب ، قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شابا أحسن وجهاً منه في رجله بعض الفدع فقال ياسبرة اسقه فسقاه كأسا ، ثم قال له غني :

وهي اذ ذاك عليها مئزر   ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبذ اليه الثوبين ، ثم قال له غني :

طاف الخيال فمرحبا   الفاً بزؤية زينبا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، انا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ، وانت تركتنا بزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون والشراب حتى بولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب التي نفسه في البركة ، وكان معه من المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمح .

ادبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن ابي مساحق السلمي وكلاهما أديب شاعر ، ولكن الاول يتهم بالخلاعة والمجون ويرمى بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصونا بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي كان يرى فيه الوليد مؤدباً ونديما .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الاسلامية كذكر القرآن وبعض الاحكام الشرعية كالحلال والحرام والبدعة ، قال يذكر القرآن في ارجوزة جعلها خطبة في

أحدى الجمع ، وفيها مواعظ ونصائح كثيرة :

ثم القرآنِ والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول

وقال من أبيات :

وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعته وتهتكه . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : «وممن يحدث من بني أمية الوليد بن يزيد ، ولم تقع له إلينا رواية» .

وكان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع والعيدين . قال الهيثم بن عمران : لما بويع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :

ضمنتُ لكم إن لم تعقني منيتي بأن سماء الضر عنكم ستقلعُ

وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمدُه في يسرنا والجهد

وأتم الأرجوزة .

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسلمة بن عبد الملك : «يا أمير المؤمنين ! إن عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختل الثغر فوهى ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى» . ومن كلامه الفصيح قوله : «إن النعمة إذا طالت بالعبد ممدَّةً أبطرته فأساء حمل الكرامة ، واستثقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشفت عنه عماية الغي والسلطان ، ذل منقاداً ، وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له» .

وقوله : «يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ؛ أقول ذلك فيه على أنه أحب إليَّ من كل لذة ، وأشهى إلي من الماء الى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال» .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاقت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وألزمناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ومكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومدّ لنا في المؤمنة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنتُ أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها ثقله . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أديباً ظريفاً ، وفصيحاً حاضر الجواب ، كما كان مشغوفاً بالغناء ، عارفاً به وبآلاته . قال صاحب الأغاني : وممن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدّف ، على مذهب أهل الحجاز .

قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمى حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هاتِ العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلتُ : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنك ؟ فقال : اسكت ويلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، فقيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امش لي بالدف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فإن أخطأت فقومني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

ومن مشهور صنعه في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباهـا التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ء ستر لهـا دون لمس البنان

وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب ، فقال لي : اشرب ! فشربتُ ، وطرب وغنى صوتاً واحداً ، وأخذ دفافةً فدفف بها فأخذ كل واحد منا دفافةً يدفف بها .

وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ، وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمتُ عليه ، فلما دخلت داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ، فقال لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ثاروا » ، فلم أدر ما يعني ، قال : ويحك يا حماد ! « ثم ثاروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ، ثم انتبهت ، فقلت :

ثم ثاروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق
ثم فضّ الختام عن صاحب الدن وقامت لدى اليهودي سوق
فسباهـا منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق

الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : رديه ، فما أنصفناه ، تغدينا ولم نغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يميناً لا تدرها ليسار

فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر ، فأقمت عنده مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

وكان يستدعي المنجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوما فدخل عليه رجلان كانا منجمين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤيدا منصورا يستقيم لك الناس ويجبي لك الخراج . فاغتنمتها وأردت ان أخدعه كما خدعاه فما

فقلت يا أمير المؤمنين كذبا نحن اعلم بالرواية والاثار وضروب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان يكسرني ولا ما قلت يغرني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد .

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوماً العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوفا قال اني لاحبهن وكيف لا احبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس روميه .

مجونه وخلاعته ورميه بالزندقة

الوليد ماجن خليع متهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لهوه وعبثه . ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة يدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ثاروا عليه وخلعوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقيصة ونحلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والتعهر وسقوط المروءة والالحاد مما لا يمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما تثبت الانسان في أخبار مجون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم المجان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كأشعب وحماد عجرد ومطيع بن إياس والمطيعي وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيهـا طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائما في كل واد
ان في ذاك صلاحي ولِلاحي ورشادي

ورموه بالالحاد واتهموه بالزندقة ونحلوه ابياتا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تبرر خلع خليفة وقتله وقد نفى عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد من الالحاد والزندقة أولاهما أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لا يدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف يسمي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية . والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجمت في أيام بني أمية فاذا كان الوليد يتحرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضى لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن شراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلم فينا فابى وقال والله ماعمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره إياهم .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولو لم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن بالخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشتيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عبثها ولهوها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعتاب والفخر والرثاء والهجاء ونظم بعض الحوادث كعقد البيعة لولديه وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه المجون فان سمة النبل تلوح على شعره من حيث يريد ولا يريد كقوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني

وكقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

قال المأمون لجلسائه أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية . ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها لشارة ملك ومثل قوله :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه .

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والطلاوة حتى تقضيا به في أكثر شعره الى اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعيم الحضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف ولا يبالي ما يقول ، ولانه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلعاء ، ويصور دلال النساء . واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفساف المبتذل الركيك عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والإسلام ، مثل عدي بن زيد العبادي من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي من أهل الطائف وهو جاهلي أدرك الإسلام . أما الشعراء الإسلاميون للذين يلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم : عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشيون حضريون غزلون . ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر الحضريين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء المولدين الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أن المولدين اتقوا اللين بالدرس والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؛ أما أولئك فقد كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها .

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سليمى واشتهر ورواه الناس باد وحضر
وتهادته العذارى بينها وتغنين به حتى اشتهر
لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها إماماً مرتضى ولكانت حجنا والمعتمر

وقد يبلغ به اللين الى التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمى خرجت يوم المصلى
فإذا طير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى قال ها ثم تعلى
قلت ياطير أدنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال لا ! ثم تولى
فنكا في القلب كلماً باطناً ثم تعلى

وهو كما يجب قرض هذا النوع من الشعر يحب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان مثله . قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته لعمار ذي كناز :

حبذا انت يا سلا مة الفين حبذا
ثم ألفين مضعفين وألفين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حذوة من صبابة تركته مفلذا

أشتهي منك منك منـ ... ـك مكاناً بجنب ذا

فضحك حتى استلقى ، وطرب وصفق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .

وكان يستحسن شعر عدي بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية استنشدني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادني الا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعناني الطرب ... واعتراني طولُ هم ووصب

كما كان يطرب للسهل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود
إن دائي الظما وإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر برود

طرب وقال من لي بمزاج كأسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إنْ فاتنا ذاك فهذا .

كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين . على أن له من الجزل ماينبئك على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعتابه جزل رصين يحاكي شعر الفحول كقوله يعاتب هشاماً :

فإن تك قد مللت القرب مني ... فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا ... وتبلو الناس والأحوال بعدي
فتندم في الذي فرطت فيه ... إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكلا ... على منار مضيئات وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

وكقوله حين ثار الناس :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد ... نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم ... حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وشعره بجملته مقطعات وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طويلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفةٌ من الشعراء جعلوا الغزل فنهم ؛ أو عنوا به أكثر من بقية فنون الشعر كجميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتهتك ؛ أما غزل الوليد فقد كان من غزل المجان الخلعاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كمطيع بن إياس وعمار ذي كناز ووالبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات وباعتبار الحب شراهة نفسانية وبتصوير مواقف الغرام تصويراً هو أقرب إلى الفجور والتهتك ، فهو بالمجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هذا النوع منه الرقيق ومنه اللين ومنه السفساف ويندر فيه الجزل ولكنه في كل أنواعه صورةٌ صادقة عن نفس الوليد الماجنة الشرهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل الصنعة واضح المعاني يلتبس بالنثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يُخلص في حبه إلا لسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فلقد لمحها في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جنّ بها جنوناً وطلبها فلم تجبه فبقي يلوب عليها أكثر من عشرين سنة يحتال لينظر اليها خلسةً كأن يجعل نفسه زياتاً ويقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً من الغزل وغزله فيها مجموعة تريك نفس المحبّ في شتى أطوارها فتارة يناشدها الحب والقرابة كقوله :

يا سليمى يا سليمى ... كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنة عمي ... برد الليل وطابا

أيا واش وشى بي | فاملئي فاه ترابا
ربقها في الصبح مسك | باشر العذب الرضايا

واخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمى حياتي | وفي يوم الحساب كما أراك
ألا تجزين من تيمت عمراً | ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ــ ولا تموتي ــ | ولو أنسي له أجل بكاك
ومن حقاً لو اعطي ما تمنى | من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً | إذاً ذاق المات وما عصاك
اثيبي عاشقاً كلفاً معنى | إذا خدرت له رجل دعاك

وطوراً يستعذب ما يلاقيه في حبها من المشاق :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت | نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها | والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطوراً يضيق بتمنعها ذرعاً فيسب أباها :

وقالت عند هجوتنا أباها | أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي | وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت | فهيها خطة بلغت مداها

ثم يستغفرها ويتوب اليها ٠

غضبت سلمى علينا سفاها | أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب ياقوم مني | ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي | لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى | ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لأظن عدواً | قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت | أبداً حتى أنال رضاها

وأحياناً يلاغيها كما تلاغي الام طفلها :

سليمي ليس لي صبر | وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وصدقت وحييت

ولا شك في أن حبه لسلمى رقق من عواطفه وأطلع من غوله ما ألح عليه المجون ونفخ فيه روح المحبين ورقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالاً فأتي به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ثم أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً	قد أردنا ذبحه لما سنح
فإذا شبهك ما ننكره	حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم	فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن	فاغد في الغزلان مسروراً ورح

ولقد ظلت سلمى هذه ممتنعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى بويع بالخلافة فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم تمكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

وصف الخمر

لم يجوّد الوليد في فن من فنون الشعر كما جود في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في هذا الباب على قلته أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعثه في النفس من الأريحية مع إلمام بلونها وراحها على سبيل الايجاز . أما الشعراء الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها تحرجاً وتأثماً ومن ذكرها منهم أو من النصارى كالأخطل تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي المجمل والغريب أن الشعراء الغزلين في العصر الاموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تحرجوا عن وصفها .

أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاء لونها ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في الكأس صرفاً وممزوجة وشبهها بالقبس والشرر والذهب ووصف دنانها وزقاقها وجرارها وشبه حببها بلمعة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون والعربدة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجي الهموم بالطرب   وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته   لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها   فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها   من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها   حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر   وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس   تذكو ضياء في عين مرتقب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران   سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا   ء ستر لها دون لمس البنان
لها حبب كلما صفقت   تراها كلمعة برق يمان

وقال :

علـلاني واسقياني   من شراب اصبهاني
إن في الكأس لمسكاً   أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع   يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت   بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كأبي نواس والحسين بن الضحاك الخليع وغيرهما ممن أمعن في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغاني إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياد فمنها وهو ما برز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجي الهموم بالطرب   وانعم على الدهر بابنة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبئ عن نفسها »

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بصدق اللهجة والصراحة وعدم التصنع في معانيه وألفاظه ، قصره على نفسه فافتخر وتغزل وعاتب ووصف الخمر ورثى وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفيائه وأقاربه وأحبابه . وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتها فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويعبث ويمزح فيكون ظريفاً فكها . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمتن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمناً :

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وشلت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

وكقوله يرثي سلمى بنت سعيد :

يا سلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دان جناها موضع
أربابها شفقا عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

وقوله :

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا

وكذلك في العتاب فإنه يشتد أسره لأنه جاد مغيظ يعاتب الخليفة الذي حاول أن

يخلعه من ولاية العهد فترى الأسى والغضب والاستعطاف والتقريع واللين والشماس مع بعضها في عتابه كقوله :

أليس عظيماً أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فارجع محمود الرجاء مصرداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفه بالأنامل

وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله :

كفرتَ يداً من منعمٍ لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا حزمٍ لهدمتَ ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينةً فويلٌ لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت انا حين يا ليت لا تغني

وكقوله :

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت اكرمتهم ألفيتهم بطروا وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
اتشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فاضرب به لهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه حتى اذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له اكلاً لقد اكلا

وهكذا فان عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افتخر ومما يرأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ الجاهلية وشموس العرب كقوله :

انا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي

اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي

بنى لي المجد بان لم يكن وكلا ... على منار مضيئات وأعلام

حللت من جوهر الاعياص قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو الى فرع طود شامخ سامي

وما عدا ذلك من المعاني التي عالجها كشماتته بموت هشام وهجائه فقليل لا يعتدُّ به ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة ؟

خليل مردهم بك



ديوان



حرف الألف

١

على الدُّور التي بليت سفاها | قفا يا صاحبيَّ فسائلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوق | وأخضل دمعُ عينك ما قياها
وقالت عند هجرتنا أباها : | أردتَ الصرم فانتدهْ انتداها
أردت بعادَنا بهجاء شيخي | وعندك خلةٌ تبغي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادت | فهبها خُطةً بلغت مداها

٢

غضبتْ سلمى علينا سفاها | أن سببتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قوم مني | ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنتُ أردت بقلبي | لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلتُ اليوم سلمى فسلمى | ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لا أظنُّ عدواً | قد أتاها كاشحاً وأذاها
فلها العتبى لدينا وقلّت | أبداً حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وإن[1] أسهرت عينيَّ عيناها
فالليلُ أطول شيءٍ حين أفقدها والليلُ أقصرُ شيءٍ حين ألقاها

٤

وُصفت عندي سليمى فاشتهى قلبي يراها
لو يرى سلمى خليلي لدعا سلمى إلاها
ورأى حين يراها ربَّ طاسين وطاها

حرف الباء

٥

تلعّب بالخلافة هاشميٌّ بلا وحيٍ أتاه ولا كتابِ
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
يذكرني الحساب ولست أدري أحقٌّ ما يقول من الحساب

٦

قد راح نحو العراق مُشخلبَه فصارهُ السجنُ بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قتب ولا خطامٍ وحوله جلَبه
فقل لدعجاء إن مررت بها لن يعجز اللهَ هاربٌ طلبه
قد جعل الله بعد غلبتكم انا عليكم يا دُلدلُ الغلبه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ولا إلى نوفلٍ ولا الحجَبه
لكنّما أشجعٌ أبوك سل الـ كلبيَّ لا ما يزوّق الكذَبه

٧

إصدعْ نجيَّ الهموم بالطرب وأنعمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارته لا تقفُ منه آثارَ مُعتقبِ

---

(١) نامت وقد ، كما في نهاية الأرب ج ١٠ ص ١٣٥

من قهوةٍ زانها تقادمُها ... فهي عجوز تعلو على الحقبِ
أشهى إلى الشَّرب يوم جلوتها ... من الفتاة الكريمة النسبِ
فقد تجلَّت ورقَّ جوهرها ... حتى تبدَّتْ في منظر عجبِ
فهي بغير المزاج من شرر ... وهي لدى المزج سائل الذهبِ
كأنها في زجاجها قبسٌ ... تزهو ضياءً في عين مرتقبِ
في فتيةٍ من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسبِ
ما في الورى مثلهم ولا بهمُ ... مثلي ولا منتمٍ بمثل أبي

٨

إنما هاج لقلبي ... شجوه بعد المشيبِ
نظرة قد وقرت في الـ ... ـقلب من أم حبيبِ
فإذا ما ذقتَ فاها ... ذقتَ عذباً ذا غروبِ
خالط الراحَ بمسكٍ ... خالصٍ غير مشوبِ

٩

يا سُليمى يا سليمى ... كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنةَ عمي ... برد الليل وطابا
أيُّما واشٍ وشى بي ... فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك ... باشر العذبَ الرُّضابا

١٠

قد تمنى معشرٌ إذ طربوا ... من عُقار وسوام وذهبْ
ثم قالوا لي تمنَّ واستمع ... كيف ننحو في الأماني والطلبْ
فتمنيتُ سليمى إنها ... بنت عمي من لهاميم العرب

١١

أمَّ سلاَّمٍ أثيبي عاشقاً ... بعليم الله يقيناً ربُّهُ
أنكمْ من عيشه في نفسه ... يا سليمى فاعلميه حسبهُ
فارحميه إنه يهذي بكم ... هائم صبٌّ قد أودى قلبهُ

أنت لو كنت له راحمةً لم يكدَّر يا سليمى شربهُ

١٢

ولقد مررتُ بنسوةٍ أعشينني حورَ المدامع من بني المنجابِ
فيهن خرعبة مليح دلها غرثى الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر مانوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب [1]

حرف التاء

١٣

سل همَّ النفس عنها بعلنداةٍ علاةِ
تتقي الأرض وتهوي بخفاف مدمجات
ذاك أم ما بال قومي كسروا سنَّ قناتي
واستخفوا بي وصاروا كقرود خاسئات
أصبح اليوم وليد هائماً بالفتيات
عنده راح وإبريقٌ وكأسٌ بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماةً لرماة

١٤

ولقد قضيتُ وإن تجلل لمتي شيبٌ على زغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شم الانوف جحاجح سادات
إن يطلبوا بتراتهم يعطَوا بها أو يطلبوا لا يُدرَ كوا بترات

---

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوى حتى رأيت كواعباً أترابا
يرفلن في وشي البرود عشيةً شبه الأراك وقد ملئن شبابا
فرين حوراء المدامع طفلةً أربين من عجب بها اربابا
تلك التي لا شك حقاً أنها خلقت لحينك فتنةً وعذابا
كلمات مختارة (ص ٢٦)

١٥

أبا عثمان هل لك في صنيع   تصيبُ الرشدَ في صلني هُديتا
فأشكرَ منك ماتسدي وتحيي   أبا عثمان ميتة ومَيتا

١٦

أراني قد تصابيت   وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب   لقد صمت وصليت
إذا شئت تصبرتُ   ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا يصبر   في الديمومة الحوت
سُلَيمى ليس لي صبر   وإن رخصتِ لي جيت
فقبلتك ألفين   وفُديت وحييّت
ألا أحببْ بزَور زا   ر من سلمى ببيروت
غزالٍ ادعج العين   نقيّ الجيد والليث

١٧

أسلمى تلك حييت   قفي نخبرك إن شيتِ
وقيلي ساعةً نشكُ   اليك الحب أو بيثي
فما صهباء لم تكس   قذىً من خمر بيروت
ثوت في الدن أعواماً   ختيا عند حانوتِ

١٨

رب بيت كأنه متنُ سهم   سوف نأتيه من قرى بيروتِ
من بلاد ليست لنا يبلاد   كلما جئت نحوها حييت
أمّ سلاّمَ لا برحتِ بخير   ثم لازلت جنتي ما حييت
طربا نحوكم و توقا وشوقا   لادكار بكم وطيب المبيت
حيثما كنت من بلاد وسرتم   فوقاكِ الاله ما قد خشيتِ

حرف الجيم

١٩

إنني فكرت في عمرٍ | حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به | قمر قد طمس السرجا
ويغني الشعر ينظمه | سيدُ القوم الذي فلجا
أكمل الوادي صنعته | في لباب الشعر فاندمجا

٢٠

طاف من سلمى خيال | بعد ما نمتُ وهاجا
قلت عجْ نحوي أسائلـ | ـك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي | قم فأنفث لي سراجا
بفلاة ليس ترعى | أنبتت شيحاً وحاجا

حرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكةَ الأبرار والعابدين أهلَ الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكاس والعض للخدود الملاح
والنديمَ الكريمَ والخادم الفا | ره يسعى علي بالأقداح (١)

٢٢

انني أبصرت شيخاً | حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ | من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعاً | خاسراً غير ربيح

---

(١) وزاد صاحب حلبة الكميت ص ٩٨
وظريف الحديث والكاعب الطفـ | لة تختال في خطوط الوشاح

٢٣

ولقد صدنا غزالاً سانحاً   قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره   حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم   فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
انت يا ظبي طليق آمن   فاغد في الغزلان مسروراً وُرح

٢٤

فما مسك يعل بزنجبيل   ولا عسل بالبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى   ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي   وثاق الباب دوني واطراحي

٢٥

تذكر شجوه القلب القريح   فدمع العين منهل سفوح
ألا طرقتك بالبلقاء سلمى   هدوءاً والمطي بنا جنوح
فبت بها قرير العين حتى   تكلم ناطق الصبح الفصيح

حرف الدال

٢٦

أتوعد كل جبار عنيد   فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر   فقل لله مزقني الوليد

٢٧

فان تك قد مللت القرب مني   فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا   وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرطت فيه   إذا قايست في ذمي وحمدي

***

٢٨

أَلَمْ تعلما سلمى أقامت مضمنةً من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليدُ لقد أجنوا بها حسباً ومكرمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاعُ الشمس أهلٌ أن يفدى
فلم أر ميتاً ابكى لعينٍ واكثر جازعاً وأجلَّ فقدا
وأجدر ان تكون لديه ملكاً يزيلك جلالةً ويسرُّ وجدا

٢٩

ألم تعلما سلمى أقامت بمهمهٍ مضمنةً قبراً من الأرض انجدا

٣٠

ومن يلك مفتاحاً لخيرٍ يريده فإنك قفل يا سعيدَ بنَ خالدِ

٣١

أضحى فؤادُك يا وليدُ عميدا صباً كليماً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحو الكنيسة غيدا
ما زلت أرمقها بعينيْ وامقٍ حتى بصرت بها تقبل عودا
عودَ الصليب فويح نفسي من رأى منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن اكون مكانه واكون في لهب الجحيم وقودا

٣٢

يا من لقلب في الهوى متشعب بل من لقلبٍ بالحبيب عميدِ
سلمى هواه ليس يعرف غيرها دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألّفا بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بغادةٍ ممكورة رياً العظام خريدِ

* * *

٣٣

إقرَ مني على الوليد سلاماً عدد النجم قلْ ذا للوليد
حسداً ماحسدتُ اختي عليه ربنـا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غرّةٍ فباتت بحزنٍ تقاسي السهودا
نؤمل عثمانَ بعد الوليـ ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا
على أنهـا شسعت شسعةً فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القريـ ـبَ عنها ليوئس منها البعيدا

٣٥

ليت حظي اليوم من كـ ـل معاشٍ لي وزاد
قهوةٌ أبذلُ فيها طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفـلاحي ورشادي

٣٦

الحمـد لله وليّ الحمـد أحمده في يسرنا والجهـد
وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها أنْ لا إله غيره إلاهـا
ما إن له في خلقه شريك قـد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دينُ أحمد فليس من خالفه بمهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا وفي الكتاب واعظاً بشيرا

لِيظهر الله بذاك الدينا ... وقد جُعلنا قبل مشركينا
من يطعِ الله فقد أصابا ... أو يعصه أو الرسولَ خابا
ثم القران والهدى السبيلُ ... قد بقيا لما مضى الرسولُ
كأنه لما مضى لديكم ... حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد أن تزلوا ... عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركُن نصحي فإني ناصح ... إن الطريق فاعلمنْ واضح
من يتق الله يجد غب التقى ... يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التقى افضل شيء في العمل ... أرى جماع البِر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم ... يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم ... فانتفعوا بذاك إن عقلتمْ
مايزرعِ الزارع يوماً يحصده ... وما يقدمْ من صلاحٍ يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا ... فالموت منكم فاعلموا قريب[1]

حرف الراء

٣٧

أهينمةٌ حديثُ القوم أمْ همْ ... سكوتٌ بعدما متع النهارُ
عزيزٌ كان بينهم نبيًّا ... فقول القوم وحي لا يحار
كأنا بعد مسلمةَ المرجى ... شُروب طوحت بهم عُقار
أوَ آلاف هجان في قيود ... تلفت كلما حنت ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم ... تُريح غبيّهم عنها الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد ... وآخر لا يزور ولا يُزار

---

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية ... يودون لو كانوا بما لهم افتدوا
حدونا وساقونا فنحن كما ترى ... نسوق كما ساقوا ونحدو كما حدوا

حماسة البحتري ص ١٦١

٣٨

لقــد قذفوا أبا وهب بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليــه شهادة عالمٍ بهم خبير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعثمانُ والدي ومروان جدّيـ ذو الفعال وعامر
أنا ابنـ عظيم القريتين وعزها ثقيفٍ وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبيُّ الهدى يقهرْ به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سفرَى وإن قيل إنني كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليَّ أنـ يظل نهارنا الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

١٤

شاع شعري في سليمى واشتهرْ ورواه النــاس بادٍ وحضرْ
وتهادته العذارى بينهــا وتغنين به حتى اشتهر
قلت قولاً لسليمى معجباً مثل ما قالــ جميلٌ وعمر
لو رأينــا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألفٍ للأثر
واتخذناهــا إماماً مرتضى ولكانت حجّنا والمعتمر
إنما بنتُ سعيدٍ قمرٌ هل حَرجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صِرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

٤٣

عوجا خليليَّ على المحضر والربع من سلامة المقفر
عوجا به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكرني سلمى وأيامها | إذ جاورتنا بلوى عسجر
بالربع من ودّان مبدى لنا | ومحوراً ناهيك من محور
في محضر كنا به نلتقي | يا حبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحيُّ به جيرة | فيما مضى من سالف الأعصر

٤٤

إسقني يا يزيد بالقرقاره | قد طربنا وحنّت الزمّاره [1]
إسقني إسقني فإن ذنوبي | قد أحاطت فما لها كفّاره

٤٥

إسقني يا ابن سالم قد أنارا | كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
إسقني من سلاف ريق سليمى | واسق هذا النديمَ كأساً عقارا

٤٦

أرسلي بالسلام يا سلمَ إني | منذ عاقتكم غنيٌّ فقيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمرك والفقـ | ـر بأني أزور من لا يزورُ
ويح نفسي تسلو النفوس ونفسي | في هوى الريم ذكرها ما يحور
من لنفسٍ تتوق أنتِ هواها | وفؤادٍ يكادُ فيك يطير

٤٧

هلك الأحولُ المشو | مُ فقد أرسل المطرْ
ثمت استخلف الوليـ | ـدُ فقد أورق الشجر
فاشكروا الله إنه | زائدٌ كلَّ من شكر

***

(١) وبعده: من شرابٍ كأنه دم خشف | عتقته هشيمة الخماره
مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٩٨

٤٨

أدرِ الكأس يميناً لا تدرْها ليسارِ
إسقِ هذا ثم هذا صاحب العود النُضار
من كميتٍ عتقوها منذ دهر في جرار
ختموها بالأفاويـ ـه وكافور وقار
فلقد أيقنتُ أني غير مبعوث لنـار
سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار
وذروا من يطلب الجنـــة يسعى لتبار

٤٩

إسقني يا زيدُ صرفاً إسقني بالطرجهاره
إسقنيها مرةً يأ خذني منها استداره
إسقنيهـا كي تسلي ما بقلبي من حراره [1]

* * *

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تبكِ (*) في العيرِ قفي إن شئتِ أو سيري
فلما أن دنا (**) الصبح بأصوات العصافير

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٠٨

خرجنا نبتغي الصيد بأمثال اليعافير
إذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فامدّت بإهذاب وتشمير

الكامل للمبرد ص ١٢ طبع أوروبة زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

حرف السين

٥٠

خفَّ من دار جيرتي يا ابن داودَ أنسها
أوَ لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم تقض لبسها
برزت كالهلال في ليلةٍ غاب نحسها
بين خمسٍ كواعبٍ أكرم الخمس جنسها

حرف العين

٥١

أتاني سنانٌ بالوداع لمؤمن فقلت له : إني الى الله راجعُ
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلتَ وشلّت من يديك الأصابع
يقولون: لا تجزع وأظهرْ جلادةً فكيف بما تحني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركب المخبُّون أبلغوا سلاميَ سكانَ البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنتُ لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرّعُ
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

٥٣

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تجدْ نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرتُ لهم رأسي فلا أتقنّعُ

* * *

٥٤

ليثَ هشامًا عاش حتى يرى ... مِكياله الأوفر قد طُبِّعا
كلناهُ بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناهُ بـه إصبعا
وما أتينـا ذاك عن بدعةٍ ... أحله الفرقانُ لي أجمعا

٥٥

ياسلمَ كنتِ كجنة قد أطعمت ... أفنانها دانٍ جناها موضعُ
أربابهـا شفقًا عليهـا نومهمْ ... تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسخَ الربيع ظنونهم ... نثر الخريف ثمارها فتصدّعوا

٥٦

ياويح َجندي الأولى جاروا ومانظروا ... في غِبّ أمر عمودَ الدين لو وقعـا
ألقحتُها ثم شالت عاقداً أنفًا ... ما تنتجوهـا فيلقوا بعدهـا رُبَعا

حرف الفاء

٥٧

أيا حكمُ المبتولُ لو كنتَ تعتزي ... الى أسرة ليسوا بسودٍ زعانفِ
لأيقنتُ قدأدركت وِترك عنوةً ... بلاحكمِ قاضٍ بل بضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثما ... نَ عذرةَ معتبٍ أسفا
فلستُ كمن يودُّكَ بالـ ... لسان ويكثر الحلِفا
عتبتَ عليّ في أشيا ... ء كانت بيننا سَرَفا
فلا تُشمت بيَ الأعدا ... ء والجيران ملتهفـا
تودُّ لو أنني لحمٌ ... رأتهُ الطيرُ فاختطفا
ولا ترفعْ به رأسًا ... عفا الرحمن ما سلفا

***

٥٩

طابَ يومي ولذَّ شرب السلافَهْ   إذ أتانا نعيُّ مَنْ بالرصافهْ
وأتانا البريدُ يَنعى هِشاماً   وأتانا بخاتمِ الخلافهْ
فاصطبحنا بخمر عانةَ صِرفاً   ولهَونا بقينة عزّافهْ

حرف القاف

٦٠

أسعدةُ هل اليكِ لنا سبيلٌ   وهل حتى القيامة من تلاقِ
بلى ولعل دهراً أنْ يؤاتي   بموتٍ من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقرَّ عيني   ويُجمع شملنا بعد افتراقِ

٦١

فلما أضاءت عصافيرُهُ   ولاحتْ تباشير أرواقهِ
غدا يقتري آبقاً عارياً   ويَلبسُ ناضر أوراقهِ

٦٢

أمَّ سلاَّمَ ما ذكرتكِ الاَّ   شرقت بالدموع مني المآقي
أمَّ سلاَّم ذكركم حيث كنتم   أنت دائي وفي لسانك راقي
ما لقلبي يجول بين التراقي   مستخفاً يتوق كلَّ مَتاق
حذراً أن تبين دارُ سليمى   أو يصيح الداعي لها بفراق

حرف الكاف

٦٢

أراني اللهُ يا سلمى حياتي   وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين من تيَّمتِ عصراً   ومن لوْ تطلبين لقد قضاكِ
ومن لو مِتِّ مات ولا تموتي   ولو أنسي له أجل بكاكِ

ومن حقًا لو أعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مُت فأطاق موتًا اذًا ذاق الممات وما عصاك
أثبي عاشقًا كلفًا معنًّى اذا خدرت له رجل دعاك

٦٤

أمُ سلام لو لقيت من الوجد عشير الذي لقيتُ كفاك
فأثيبي بالوصل صبًا عميدًا وشفيقًا شجاه ما قد شجاك

حرف اللام

٦٥

دعوا لي سليمى والطلاء وقينةً وكأسًا ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملة عالج وعانقتُ سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتًا يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا
أبالملك أرجو أن أخلد فيكم ألا رُبّ ملك قد أزيل فزالا
ألا رُبّ دار قد تحمّل أهلها فأضحت قفارًا والديار خلالا

٦٦

أليس عظيمًا أن أرى كل وارد حياضك يومًا صادرًا بالنوافل
فأرجع محمود[1] الرجاء مصرّدًا بتحلية عن ورد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كلُّ آمل
كمقتبض يومًا على عرض هبوة يشدّ عليها كفّه بالأنامل

* * *

(١) « محدود الرجاء » كلمات مختارة ص ٢٧

٦٧

ألم تهتج فتذكرَ الوصالا   وحبلاً كان متصلاً فزالا
بلى فالدمع منك له سجام   كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادّكارك آل سُعدى   فنحن الأكثرون حصىً ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً   نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعرين بعزّ قيس   فيالك وطأةً لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسيراً   ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً   جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عز   لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً   يسامر من سلاسلنا الثقالا
وكندةُ والسكون فما استقالوا   ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سُمنا البرية كلَّ خسف   وهدّمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم   وجذّتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً   نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحتُ الغداة عليّ تاج   لملك الناس ما يبغي انتقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً   إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطراً   وإن أهنتهم ألفيتهم ذُللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم   ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل   له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يسمّنه للصيد صاحبه   حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته   ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

* * *

٦٩

من مُبلغ عني أبا كاملٍ   أني إذا ما غاب كالهابلِ
قد زادني شوقاً إلى قربه   ما قد مضى من دهرنا الحائل
إني إذا عاطيته مرة   ظلتُ بيوم الفرح الجاذل

٧٠

عينيَّ للحدث الجليل   جودا بأربعة همولِ
جودا بدمعي إنه   يشفي الفؤاد من الغليل
لله قبرٌ ضمنت   فيه عظامُ ابن الطويل
ماذا تضمّن إذ ثوى   فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوي من هوا   ك إلى ذرى كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً   فرداً بمدرجة السيول

٧١

وزق وافر الجنبين مثل الجمل البازلْ
به رحت إلى صحبي وندماني أبي كامل
شربناه وقد نمنا بأعلى الدّير بالساحل
ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

٧٢

عرفت المنزل الخالي   عفا من بعد أحوالِ
عفاه كل حنّان   عسوف الوبل هطّال
لسلمى قرّة العين   وبنت العم والخال
بذات اليوم في سلمى   خطاراً أتلفت مالي
كأن المسك في فيها   . سحيق بين جريال

* * *

٧٣

خبّروني أنّ سلمى　　خرجت يوم المصلّى
فإذا طيرٌ مليح　　فوق غصنٍ يتفلّى
قلت من يعرف سلمى　　قال : ها ، ثم تعلّى
قلت يا طير أدْنُ مني　　قال : ها ، ثم تدلّى
قلت هل أبصرت سلمى　　قال : ها ، ثم تولّى
فنكى في القلب كلْماً　　باطناً ثم تعلّى

٧٤

هل إلى أمّ سعيد　　من رسول أو سبيل
ناصح يخبر أني　　حافظ ودّ خليل
أبذل الود لغيري　　وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي　　من وصالي بالقليل

٧٥

سقيت أبا كامل　　من الأصفر البابلي
وسقّيتها معبداً　　وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم　　ويغمرهم نائلي
فما لامني فيهم　　سوى حاسد جاهل

٧٦

طرقتني وصحابي هجوعٌ　　ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت　　واستقلت في رؤوس الجبال
تقطع الاهوال نحوي وكانت　　عندنا سلمى ألوفَ الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد　　وحشةٍ مثالةٍ للرجال

* * *

٧٧

أنا الوليد الإمامُ مفتخراً أنعمُ بالي وأتبعُ الغزلا
أهوى سليمى وهي تصرمني وليس حقاً جفاءُ من وصلا
أسحبُ بردي إلى منازلها[1] ولا أبالي مقالَ من عذلا
غرّاءُ فرعاءُ يستضاء بها تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلا

٧٨

قد أغتدي بذي سبيبٍ هيكل مشرّبٍ مثل الغراب أرجلِ
أعددته لخلبات الاحول وكل نقع ثائرٍ لجحفل
وكل خطب ذي شؤون معضل

٧٩

يا رُبَّ أمرٍ ذي شؤون جحفل قاسيتُ فيه خلباتِ الأحولِ

حرف الميم

٨٠

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّمِ
فلا تعجلوني لا أبا لأبيكم فإني لكم كالوالد المترحم

٨١

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمت عليا معدٍّ مدى كرّي وإقدامي
إني لفي ذروة العليا إذا انتسبوا مقابلٌ بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً على منار مضيئاتٍ وأعلام
حلت من جوهر الاعياص قد علموا في باذخ مشمخرّ العز قمقام

---

(١) في الكامل ١ / ٤١٢ : انقل رحلي إلى مجالسها

صعبِ المرام يسامي النجمَ مطلعُه   يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسليك عن سلمى   قتير الشيب والحلمُ
وأنَّ الشك ملتبس   فلا وصل ولا صَرمْ
فلا والله رب النا   س مالكِ عندنا ظلم
وكيف بظلم جارية   ومنها اللين والرُّحم

٨٣

أتانا بريدان من واسطٍ   يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى   أمسلمَ لا تبعدن مَسلمه
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد   تضيءُ فقد أصبحت مظلمه
كتمنا نعيك نخشى اليقين   فجلى اليقينُ عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته   بأرض العدو وكم أيِّمه
وكنت إذا الحرب درت دماً   نصبت لها راية مُعلمه

٨٤

إن كأسَ العجوز كأس رواءٌ   ليس كأسٌ ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً   في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيل   لظلاًّ في سكرة وغموم
ولدته سَكرى فلم تحسن الطلقَ   فوافى لذاك غيرَ حكيم

٨٥

طال ليلي فبت أسقي المداما   إذ أتاني البريد بنعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب   وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعات الوليَّ من بعد فقدي   بفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريش   خير قوم وخيرهم أعماما

٨٦

علّلاني بعانقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامةَ صرفًا في إناء من الزجاج عظيم
جنّبوني أذاةَ كل لئيم إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم فأذيقوه بعضَ مسّ النعيم
ليت حظي من النساء سليمى إن سلمى جُنينتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها إن من لامني لغير رحيم

٨٧

خيلي وربِّ الكعبة المحرّمه سبقن أفراسَ الرجال اللوّمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه كذاك كنا في الدهور القَدَمه
أهلَ العلى والرُّتب المعظمه

٨٨

نام من كان خليًا من ألم وبدائي بتُّ ليلي لم أنم
أرقُب الصبح كأني مُسند في أكفّ القوم تغشاني الظلم
إن سلمى ولنا من حبها ديدن في القلب ما اخضرّ السلم
قد سبتني بشتيتٍ نبته وثنايا لم يَعبهنّ قضم

٨٩

بلّغا عني سليمى وسلاها ليَ عمّا
فعلت في شأن صب دنفٍ أشعر همّا
ولقد قلت لسلمى إذ قتلتُ البين علما
أنتِ همي يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت في القلب قسراً منزلا قد كان يحمى

حرف النون

٩٠

رأيتكَ تبني جاهداً في قطيعتي ... فلو كنت ذا إرب لهدّمتَ ما تبني
تُشير على الباقين مجنى ضغينة ... فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم والليتُ إذ أفضل قولهم ... ألا ليتنا والليتُ إذ ذاك لا يغني
كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتها ... جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

٩١

حبّذا ليلتي بدير بَوَنّا ... حيث نُسقى شرابَنا ونغني
كيف ما دارت الزجاجة درنا ... يحسب الجاهلون أنا جُننّا
ومررنا بنسوة عطرات ... وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفةَ الله فُطرو ... سَ مجوناً والمنشارَ يُحنّا
فأخذنا قربانهم ثم كُفّر ... نا لصلبان ديرهم فكفرنا
واشتهرنا للناس حيث يقولو ... ن إذا خُبّروا بما قد فعلنا

٩٢

منازلُ قد تحلُّ بها سليمى ... دوارسُ قد أضرّ بها السنونُ
أميت السر حفظاً يا سليمى ... إذا ما السرّ باح به الخزون

٩٣

ويحَ سلمى لو تراني ... لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي ... عاشقاً حور القيانِ
إنما أحزن قلبي ... قول سلمى اذ أتاني
ولقد كنت زماناً ... خالي الذرع لشاني
شاق قلبي وعناني ... حب سلمى وبراني
ولكم لام نصيح ... في سليمى ونهاني

٩٤

عَلِلاني واسقيـاني من شراب إصبهاني
من شراب الشيخ كسرى أو شراب القيرواني
إنّ في الكأس لِمسكاً أو بكفّي من سقاني
أو لقد غودر فيهـا حين صبت في الدنان
كللاني توّجاني وبشعري غنيـاني
أطلقـاني بوثـاقي واشدُداني بعنـاني
إنمـا الكأس ربيع يُتعاطى بالبنـان
وحُميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

٩٥

إني سمعت خليلي نحو الرُّصافة رنّه
خرجت أسحب ذيلي أقول ما شأنهنه
إذا بنات هشام يندبن والدهنه
يندُبنَ شيخاً كريماً وكان يكرمهنه
يقلنَ ويلي وعولي والويل حل بهنه
أنا المخنث حقاً إن لم أنيّلهنه

٩٦

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلانِ
تريك القذاةَ وعرض الإنا ء ستر لها دون لمس البنان
لها حبب كلمـا صفقت تراها كلمعة برق يمان (١)

(١) قد جعلنا طوافنا بالدنان حين طاف الورى بركن يماني
سجد الساجدون لله حقا. وجعلنا سجودنا للقناني
حلبة الكميت ص ٩٨

حرف الياء

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن ... يخب بي السندي قفراً فيافيا
تطلعت من غور فأبصرت فارساً ... فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس ... وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إني طعنته ... فروّيت منه صعدتي وسنانيا

٩٨

قامت إليّ بتقبيل تعانقني ... ريا العظام كأن المسك في فيها
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لا نوم على سرر ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

٩٩

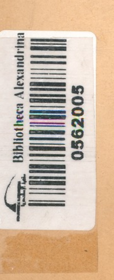
أقصرا عن ملامتي عاذليا ... إن عذلي يزيدني اليوم غيا
لا تلوما هديتما إن قلبي ... عشق اليوم شادناً قرشيا

١٠٠

لقد أغدو على أشقـ ... ـر يغتال الصحاريا

١٠١

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديه
إن هذا لقضاء ... غير عدل بأخيه
ليت من لام محبا ... في الهوى لاقى المنيه
فاستراح الناس منه ... ميتة غير سويه


Bibliotheca Alexandrina
0562005